



أبو الرائد إبان انضمامه إلى جيش التحرير كانون أول ١٩٦٧

أبو الرائد زكريا... ذكريات ضابط في مدفعية الثورة الفلسطينية

الجزء الثاني

عوني فارس*

تناول الجزء الأول^١ من سيرة المناضل أبو الرائد زكريا نشأته ودوره النضالي منذ التحاقه بالثورة الفلسطينية سنة ١٩٦٥م حتى أسره على يد قوات الاحتلال الإسرائيلي إبان اجتياح لبنان سنة ١٩٨٢م. وسيكمل الجزء الثاني هذا الحديث عن مشواره النضالي مع الثورة حتى عودته إلى فلسطين سنة ١٩٩٨م. مركزاً على أبرز محطات هذا المشوار، والمتمثلة في خروجه من الأسر ومشاركته الساحة الجزائرية همومها وانشغالاتها؛ ومعاشته مرحلة الانشقاق في صفوف حركة فتح؛ ثم مشاركته في حرب المخيمات؛ وأخيراً وقوعه أسيراً في قبضة النظام السوري.

إلى مطار العاصمة الجزائر، حيث استقبل مع إخوانه استقبال الأبطال بمشاركة جزائرية وفلسطينية رسمية وشعبية، وعمولوا معاملة حسنة طوال فترة مكوثهم في الجزائر.

تسلط تجربة الشهور الخمس التي أمضاها أبو الرائد في الجزائر الضوء على جانب من النقاشات الساخنة التي دارت بين كوادر حركة فتح بشأن خيارات المقاومة الفلسطينية في المرحلة التالية، وتظهر أيضاً تداعيات الهزة العنيفة التي أحدثها خروج المقاومة من لبنان، وحالة الغليان التي سادت بين الأسرى المحررين بعد أن بدأوا يدركون أنهم أصبحوا أكثر بُعداً عن فلسطين. وبحسب أبو الرائد فقد دارت النقاشات بين كوادر الثورة^٢ فيما يتعلق بالموقف من التسوية السياسية مع إسرائيل، وخصوصاً مع

الخروج إلى الجزائر

خرج أبو الرائد من سجن مجدو مع عدة آلاف من الأسرى الفلسطينيين واللبنانيين بموجب صفقة تبادل بين المقاومة الفلسطينية والاحتلال الإسرائيلي في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٨٣م،^٣ ووصل مع ١٠٢٤ أسيرٍ محررٍ

١ نشر الجزء الأول في حوليات القدس عدد ١٦، ص. ٦-١٨.

٢ جرت صفقة التبادل بين المقاومة الفلسطينية والاحتلال الإسرائيلي بعد عام ونصف من المفاوضات الشاقة بوساطة نمساوية وفرنسية. وقد خرج بموجها آلاف الأسرى الفلسطينيين واللبنانيين. توجه ١٠٢٤ أسيراً منهم إلى الجزائر. سلم الأسرى الإسرائيليون الست إلى سفينة فرنسية ترسو بالقرب من ميناء طرابلس وترفع علم الصليب الأحمر وقد سلم الاحتلال منظمة التحرير بموجب هذه الصفقة ٢٣ طناً (١١٣ صندوقاً خشبياً) من الوثائق والدراسات والأبحاث التي سرقها سابقاً من مركز أبحاث منظمة التحرير. للمزيد من التفاصيل، انظر: الموقع الإلكتروني أمد للإعلام: <http://www.amad.ps/ar/?Action=Details&ID6266=>

* باحث في التاريخ الفلسطيني وقيم في سلواد.

تمت زيارة الموقع بتاريخ ٢٠١٨/١٢/١٤.

٣ لم تقتصر هذه النقاشات على الأسرى المحررين أنفسهم، إنما شاركهم فيها المستوى القيادي الأول في منظمة التحرير وحركة فتح. مثل أبو عمار وأبو جهاد. بالإضافة إلى كوادر المنظمة العاملين في الساحة الجزائرية، حيث عُقد عدد كبير من اللقاءات والحوارات.

تصاعد نبرة التأييد للمسار السياسي من قبل الصف الأول في القيادة الفلسطينية. والذي بدأ مقتنعا أكثر بأن التحرك السياسي هو الخيار الوحيد الذي تبقى أمام الفلسطينيين. لكنّ موقف أغلب المتواجدين في الساحة الجزائرية آنذاك كان في صف رفض دخول منظمة التحرير على خط التسوية.⁴

في المقابل، طرح أبو جهاد فكرة تفعيل خيار المقاومة داخل الأرض المحتلة وتحويل الضفة الغربية وقطاع غزة إلى نقطتين مركزيتين للمقاومة والرهان عليهما بعد خسارة الثورة للساحة اللبنانية.⁵ وفي الوقت نفسه كان هنالك رأي آخر يصرّ على ضرورة العودة إلى لبنان واستئناف المقاومة منها. على اعتبار أن الثورة ما زال لها أوراق يمكن الرهان عليها من قبيل الوجود الفلسطيني الكثيف في لبنان. وحالة لبنان السياسية التي ما زالت تسمح بتحرك فلسطيني مسلّح. وإن بقدر محدود. وإمكان التوافق مع النظام السوري بشأن حدود التحرك الفلسطيني. وقد كان أبو الرائد من مناصري هذا التوجه.

تُظهر تجربة أبو الرائد في الجزائر بروز نواة من المنتمين إلى التيار الإسلامي داخل صفوف المقاومة الفلسطينية. وإن على نطاق ضيق. وقد تجذّر انتماء أعضاء هذه النواة الديني داخل معتقلات الاحتلال. وتجسدت النواة في المجموعة التي بدأت بالالتفاف حول الأسير المحرر جبر عمار⁶ أحد الكوادر العسكرية للثورة الفلسطينية. والذي يُعد مؤسس التيار الإسلامي في سجون الاحتلال.

4 يرى معين الطاهر أن السبب الرئيس الذي حسم الساحة الجزائرية لمصلحة معارضي خط التسوية وجود بعض الكوادر المعارضين النشطين مثل محمد جهاد. مقابلة مع معين الطاهر (تمت إلكترونياً) بتاريخ ٢٠١٥/٢/١٣م.

5 أكد السيد حاتم عبد الغني حماد أنه بدأ بأوامر من أبو جهاد بعقد لقاءات مع كوادر حركة فتح في الجزائر لنشر فكرة العمل داخل الأراضي المحتلة. وأشار إلى أكثر من اجتماع عقده مع أبو الرائد وعدد من الأسرى بحضور أبو جهاد وناقشوا الموضوع. مقابلة مع العقيد المتقاعد حاتم عبد الغني مصطفى حماد. يوم الخميس ٢٠١٣/١١/٢٩م.

6 يرجع النقيب جبر عمار لقربة بيت دراس المهجرّة. تخرج من الكلية العسكرية في القاهرة برتبة ملازم. والتحق بجيش التحرير الفلسطيني واشترك في حرب سنة ١٩٦٧م. شارك في قيادة قوات التحرير الشعبية. وقاد العمل الفدائي في المنطقة الجنوبية من قطاع غزة. ألقي القبض عليه في حي الشجاعية في كانون الأول ١٩٦٩م. وحكم عليه بالمؤبد. أسس الجماعة الإسلامية في سجون الاحتلال في منتصف سبعينيات القرن الماضي. استأنف مشواره النضالي في الساحتين المصرية والسودانية بعد خروجه من السجن بموجب صفقة التبادل سنة ١٩٨٣م.

ومع أن أبو الرائد أصرّ على وصف هذه التوجهات بالفردية وغير المنظمة أو المؤطرة. وأنها كانت محكومة بالعاطفة الدينية أكثر من أيّ شيء آخر.⁷ إلا إن وجود صور أخرى من التوجهات الدينية داخل صفوف الحركة الوطنية في الفترة نفسها. وبالنظر إلى الأوضاع الفلسطينية والعربية المحيطة. يمكننا من اعتبار الظاهرة الدينية هذه جزءاً من حالة متعددة الصور والوسائل بدأت بالظهور في ساحة العمل الوطني يجمعها النظر إلى الإسلام باعتباره مرجعية ثورية قادرة على استرجاع الأرض وتحقيق النهوض. متأثرة بصعود تيار الصحوة الإسلامية في الوطن العربي وبالتحوّلات التي فرضتها بعض الأحداث المهمة في العالم الإسلامي. مثل الثورة الإسلامية في إيران والجهاد الأفغاني. والحالة الإسلامية داخل الأراضي المحتلة التي بدأ يزداد داخلها التيار المناهض بالعودة إلى خيار المواجهة مع الاحتلال.⁸

يقول أبو الرائد عن تحرره من الأسر الإسرائيلي والمرحلة التي تلتها:

خرجت من السجن في الصفقة التي تمت بين المقاومة والاحتلال في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٨٣م. تم نقلنا بطائرات عسكرية إلى تل أبيب ومنها إلى مطار اللد ثم إلى مطار القاهرة. هناك زوّدوا الطائرات بالوقود ثمّ اتجهت إلى الجزائر. وصل إلى الجزائر على ما أظن ١٥٠٠ أسير محرر. استقبلنا استقبال الأبطال. وكان في استقبالنا رئيس الدولة الشاذلي بن جديد ومعه مساعده محمد شريف. وقيادات من تونس مثل الماجدة وسيلة زوجة الحبيب بورقيبة. ومن الفلسطينيين كان في استقبالنا محمد جهاد. نزلنا في معسكر الخروبة في العاصمة. كان كل شيء موجود ومتوفر. قام أفراد الجيش الجزائري بخدمتنا على أكمل وجه. أحضرنا عائلتنا وأقمنا في فنادق على حساب الجزائريين. بقينا في الجزائر خمسة أشهر. أول الأمر فصلوا لكل أسير محرر بدلتين وحذاء

7 يتفق معين الطاهر مع توصيف أبو الرائد لدور جبر عمار. إذ أشار إلى أنه امتلك قوة خطابية وقدرة عالية على التحريض لمصلحة أفكاره. لكنه لم يتمكن من بلورة رؤية فكرية متكاملة ولم يكن لديه القدرة على طرح البديل الميداني المناسب. معين الطاهر. مصدر سابق.

8 هناك الكثير من النماذج التي عبّرت عن هذه التحوّلات. كان أبرزها تأثيرا وحضورا في تلك الفترة المجموعة التي التفت حول المنظر والمفكر الفتحاوي السابق منير شفيق.

نقل المقاومة إلى الأراضي المحتلة. وقتها
بذكر [أذكر] من الكوادر اللي حكوا معي في
الموضوع حاتم عبد الغني حماد.

الانشقاق داخل صفوف حركة فتح^٩

واجهت حركة فتح بُعيد خروج المقاومة من لبنان
مرحلة صعبة كادت تفقد زعامتها التاريخية للحركة
الوطنية، وخصوصاً عندما انشقت نخبة من قياداتها
وكوادرها العسكرية النافذة، متذرعةً بذرائع عدة، في
مقدمتها أداء المقاومة خلال الاجتياح الإسرائيلي
للبنان. وقد وجد المنشقون رعايةً ودعمًا من قبل النظام
السوري الذي يادر، في حينه، إلى إعادة رسم خياراته في
لبنان، وكان في مقدمة أولوياته إيجاد بديل عن القيادة
الرسمية لمنظمة التحرير.

ونظراً إلى طبيعة الدور الذي أداه أبو الرائد منذ
التحاقه بالثورة الفلسطينية، إذ بقي ميدانياً قابضاً
على سلاحه، لا يغادر الخنادق، ولا تستهويه أحاديث
السياسة والأعياب، فقد وجد نفسه منساقاً مع
شعارات التغيير داخل الحركة، مدفوعاً بمآلات الخروج
من لبنان وبالعلاقة قوية مع ثلّة من قادة فتح العسكريين
الميدانيين، الذين كان لهم دورٌ متميزٌ في رفع مكانة
الحركة وأدائها القتالي سابقاً، لكنه، كما روى، لم يبادر
عملياً إلى الانضمام إلى المنشقين، ويوضح أبو الرائد
دوره في تلك الفترة بالقول:

الانشقاق في حركة فتح له جذور عميقة
داخلها، لأننا كنّا أصلاً منقسمين على أنفسنا

٩ قاد الانشقاق داخل حركة فتح سنة ١٩٨٣م ثلّة من القادة
والكوادر العسكرية والسياسية الفتحاوية، منها عضوا اللجنة
المركزية لحركة فتح نمر صالح (أبو صالح) وسميح أبو كويك
(قدري) والقائد العسكري سعيد موسى مراغة (أبو موسى)،
وكان المبرران الرئيسان للانشقاق نتائج الاجتياح الإسرائيلي
للبنان، وتصادت الحديث عن انجرار منظمة التحرير نحو الحل
السياسي مع الاحتلال، وقد دعم النظامان السوري واللبي
الانشقاق لأهدافهما الخاصة، كان للانشقاق تأثيره الكبير على
الحركة، إذ شقّها في مختلف مواقعها، وقد واجهته القيادة
الرسمية بصرامة كبيرة، أدى الانشقاق إلى صدامات دامية راح
ضحيّتها عدد كبير من الفلسطينيين، وننوّه أن هذا الانشقاق
لم يكن الأول فقد سبقه انشقاق أبو نضال عن الحركة سنة
١٩٧٣م وتأسيسه للمجلس الثوري، للمزيد من التفاصيل حول
مسارات انشقاق سنة ١٩٨٣م والمعارك التي اندلعت بين
المنشقين والموالين للقيادة الرسمية لفتح ومصير الانشقاق،
انظر: يزيد صايغ، الكفاح المسلح والبحث عن الدولة، مصدر
سابق، ص ٧٧٩-٨٠٣ و ٨٢٤-٨٤١.

جميل، بصراحة كان الجو مريح جداً، لكن
القلب كان مع المقاومة ومع ضرورة عمل شيء
حتى نعيد للمقاومة هيبتها، مكثنا شهرين،
ثمّ تمّ نقلنا إلى معسكرات تبيسة، وهي ولاية
مساحتها ٧٠٠ كم^٢، هناك كان الواقع أيضاً
راحة نفسية وجسدية.

توقعي أن عملية نقلنا إلى تبيسة كانت
مقصودة، لأن من بين الأسرى كان من يحمل
شعارات إسلامية خصوصاً جبر عمار، جبر كان
من اللي صاروا رموزاً إسلامية في سجون الاحتلال
وكان له ماضٍ نضالي مشرف، وأنا عملت معه
قبل أسره في أكثر من موقع، جبر صار يخطب
الجمعة في المعسكرات الجزائرية، وكنت أقوم
بالأذان، ويأتي للصلاة معنا جماعة حوالي ٢٥
أسير محرر.

ويبدو أنه صار للنظام الجزائري ملاحظاته
وخشيتته من بروز أي تيار إسلامي سياسي، ولأننا
فلسطينيون ولنا بريق خاص فخشوا [خافوا] أن
يتم التأثير على الجزائريين، وتحديد الجيش،
كمان صار في بعض التصرفات السلبية من
بعض الفلسطينيين والتي مسّت بعض القيم
الاجتماعية الجزائرية، إضافة إلى بروز خلافات
فيما بيننا انعكست على سلوكنا الاجتماعي،
فصار في تذرّمتنا، وهنا تمّ نقلنا إلى معسكرات
بعيدة عن العاصمة.

وأذكر أنه بعد فترة من الترحيب بنا تغير
مزاج أهل تبيسة، وخرجوا في مظاهرات تطالب
بإبعادنا عن المنطقة، نشطنا في تبيسة
وحدث الكثير من اللقاءات، هناك اجتمعنا
أكثر من مرة مع أبو عمار وأبو جهاد وبعض
الكوادر، وبدأنا نسمع من جديد عن خيارات
السلام اللي كان البعض يطرحها ونحن في
لبنان، كان مطلبنا العودة إلى لبنان واستئناف
المقاومة من هناك، التقينا بأبي عمار، وبيّنا له
موقفنا بصراحة، واقترحنا عليه عمل ترتيبات
مع سوريا من أجل استعادة وجودنا في لبنان،
مع الأخذ بعين الاعتبار بأنّ النظام السوري كان
معادياً لنا، فالضرورات تبيح المحظورات، ولكنه
لم يوافق، أنا كنت مع الذهاب إلى لبنان بأي
طريقة، لكن أبو عمار أصرّ على موقفه ووضعنا
في وضع حرج، فإمّا البقاء في الجزائر أو الذهاب
إلى الأردن أو العراق أو ليبيا، وكان وقتها أبو جهاد
والمحيطين فيه بدأوا يحكوا معنا عن ضرورة

وعندنا استعداد للانشقاق. لولا وجود عوامل ساعدتنا على استمرار التماسك داخل الحركة. كانت فلسفة حلّ المشاكل بقوة السلاح موجودة من زمان. تصور في السبعينيات حسين الهيبي^{١٠} أحد كوادر الحركة أطلق النار على أبو عمار^{١١} وهذا كان مختلف مع أبو عمار. طبعاً الرجل اغتيل في وقت لاحق. ولا تنسى أن أبو نضال انشق أيضاً في السبعينيات وعمل فتح المجلس الثوري.

برأيي الانشقاق سنة ١٩٨٣ لم يكن لأسباب ميدانية فقط. وإنما في قصص لها علاقة بمحاوَر داخلية وصراعات. شوف [انظر] مثلاً اغتيال الأخ سعد صايل^{١٢} الذي لم يُعرف من اغتاله! هل هم السوريون أم جماعتنا. وقد استشهد في طريق البقاع. كان وقتها في اشتباكات بين عناصر فتح مع بعضهم البعض. كان في قصص فساد كثيرة سابقة. اعترض عليها عدد من القادة والكوادر. خذ مثلاً كان أبو موسى^{١٣} من القادة المعترين. كان عسكري محترف. متدين. استشهد أحد أبنائه. لقبه أبو عمار بالأمير. كان كثيراً ما يعترض على ممارسات بعض المسؤولين. وأبو عمار يتحمل انتقاداته. لكن لم تأت انتقاداته بنتيجة. مرة قال له يا أبا عمار فؤاد يسرق المالية فأجاب: شو

١٠ حسين الهيبي. وهو أصلاً من عرب الهيبي. من أوائل من عمل في قواعد حركة فتح في الجولان وكان أمر القطاع ٥٥. عُرف عنه قدرته العالية على التسلسل إلى داخل فلسطين. وكان له علاقة مع السوريين.

١١ بشأن حادثة إطلاق النار على أبو عمار من قبل حسين الهيبي. انظر: يزيد صايغ. الكفاح المسلح والبحث عن الدولة. مصدر سابق. ص ٤٢٥.

١٢ سعد صايل (١٩٣٢-١٩٨٢): ولد في كفر قليل قرب نابلس. تولى قيادة لواء الحسين في الجيش الأردني برتبة عميد ركن. ثم انضم إلى الثورة في أعقاب أحداث أيلول ١٩٧٠م. تولى مسؤولية إعادة بناء القوة العسكرية للثورة الفلسطينية بعد الخروج من الأردن. وكان عضواً في اللجنة المركزية لحركة فتح. وقائداً لغرفة العمليات المركزية للثورة الفلسطينية في لبنان لعدة أعوام. منها فترة الاجتياح الإسرائيلي للبنان سنة ١٩٨٢م. اغتيل في ظروف غامضة بعد جولة تفقدية لمواقع الفدائيين الفلسطينيين في لبنان.

١٣ سعيد موسى مراغة أبو موسى (١٩٢٧-٢٠١٣): من مواليد بلدة سلوان قرب القدس. كان ضابطاً في الجيش الأردني قبل أن ينضم لصفوف الثورة الفلسطينية. شغل مركز مدير غرفة عمليات حركة فتح في لبنان. وكان عضواً في مجلسها الثوري. عُرف بدوره العسكري المهم في إبان الحرب الأهلية في لبنان في سبعينيات القرن الماضي. قاد مع رفاهه انشقاقاً عن حركة فتح سنة ١٩٨٣م. وأسّس فصيلاً جديداً سمّاه «فتح الانتفاضة».

بدك انجيب [تحضر] حرامي جديد. عشت مرحلة الانشقاق من أولها. كانت بدايات التذمر ونحن في الأسر عند الاحتلال. كانت أحاديثنا عن المقاومة وانتقاداتنا لأداء الثورة أثناء الاجتياح. وإمكانية انتقالها للحل السياسي. كانت المعارضة داخل السجن سرّية خوفاً من أي انشقاق يضعف الجبهة الداخلية في مواجهة الاحتلال. وبصراحة صفقة التبادل عزّزت مخاوف الكثير من المناضلين. فخرجنا إلى الجزائر كان مفاجئاً وغير متوقع. وأغلب الأسرى لم يكونوا راضين عن شروط الصفقة. لأنه بكل بساطة كيف لنا أن نقاوم العدو ونحن موزعين في المغرب العربي.

بدأت المعارضة تظهر بقوة بعد انسحاب المقاومة من لبنان. كانت غالبية قادة المعارضة من العسكريين الميدانيين. هم شاهدوا بأعينهم أوجه الخلل. وصدقني كانت المعارضة صادقة لكن الظروف كانت صعبة.

في الجزائر صارت الصورة أكثر وضوحاً. وأصبحت المعارضة قوية جداً. عايشت ذلك أثناء تواصلنا مع كوادر الحركة والنشطاء الفلسطينيين على الساحة الجزائرية. ورأيت ذلك عياناً في اجتماعاتي مع الأجسام النقابية التي كانت تمثل الفلسطينيين هناك. مثل اتحاد المعلمين الفلسطينيين واتحاد الطلبة الفلسطينيين في الجامعات الجزائرية. وفي نقاشاتي مع كوادر معتبرين في الجزائر مثل الأخ جبر عمار ومحمد جهاد^{١٤}.

المعارضة لم تستمر رغم أنها ضمت الكثير من الكوادر. ولها جمهور قوي وكبير ومواقع في أكثر من ساحة عربية. لأنها لم تكن مثل فتح لها رموزها التاريخية. وكانت تعاني من ضعف الدعم المالي. وكانت سوريا تريد الوصاية عليها. كنتُ في لبنان والتقيت ببعض المعارضة كانوا بحق جوعى. أنا نفسي لم أكن معارضة. ولكن كنت داخل فتح أتبني مواقف المعارضة. وهذا أدى إلى حقد بعض

١٤ كان محمد جهاد عضواً في المجلس الثوري لحركة فتح. قاد جسم الحركة في منطقة شمال إفريقيا بُعيد الخروج من بيروت. انضم للمنشقين سنة ١٩٨٣م. استقر في الأردن منذ تسعينيات القرن الماضي وخدم في الدائرة السياسية. بشأن دور محمد جهاد في الانشقاق وتراجع لاحقا عن معارضته للقيادة الرسمية. انظر: يزيد صايغ. مصدر سابق. ص ٨٣٦-٨٤٠. ٨٨٤



أبو الرائد في جنوب لبنان عام ١٩٨٠

راضية على ذهابي إلى لبنان. وكان عليّ ضغط للذهاب إلى ليبيا. كان أبو عمار مرسل قوات فلسطينية لحماية منشآت اقتصادية ليبية في الصحراء، رفضت الذهاب إلى ليبيا لأن ذهابي هناك يعني أنني غيرتُ هدفي من مقاتل من أجل التحرير إلى شركة حماية تسعى لكسب المال.^{١٧} ولكن لما أبو عمار رأى أنّ الساحة اللبنانية راحت من يده وصارت كلها معارضة، طالب الشباب بالذهاب إلى لبنان. ولم يلقَ أحد يريد الذهاب. كنتُ عشرين متحمسين ولّبنا النداء واتجهنا إلى لبنان. ومن أجل تسهيل مهمة الوصول إلى لبنان، تم ضمنا إلى قوات بدر وعسكرنا في خو من جديد وبعدها ذهبنا إلى سوريا ومنها إلى البقاع ومنها إلى المخيمات. كان الجو بين الفصائل حامي كثير وفي اشتباكات كثيرة. كانت الاغتيالات الداخلية منتشرة بكثرة. وعمليات الانتقام بين الفصائل وداخل الفصيل الواحد موجودة، وكانت الفوضى

١٧ يرى اللواء عبد الرحمن صالح أبو صالح أن السبب الرئيس وراء عدم تمكن أبو الرائد من الحصول على منصب رفيع في مؤسسات السلطة الفلسطينية بعد عودته إلى فلسطين هو غضب القيادة عليه كونه رفض الذهاب إلى ليبيا في تلك الفترة. مقابلة مع اللواء عبد الرحمن صالح أبو صالح جرت يوم الخميس ٢٠١٣/١١/٢٩م.

الناس عليّ. وقت كانت المعارضة في قتال مع فتح أخذتُ هوية معارضة من أبو ناصر صديق لي من التعامرة، وذهبت إلى سوريا عند أبو حسين الدهمش.^{١٥} وهناك اجتمعت مع واصف عريقات.^{١٦} وقتها نصحني بترك سوريا حالاً والرجوع إلى لبنان. وقال لي المعارضة ليست قادرة على تحقيق أهدافنا. أنا بعزّك ارجع إلى لبنان الوضع سيء. وعدت بعدها إلى لبنان.

إلى الساحة اللبنانية من جديد

تعطي رواية أبو الرائد عن لبنان ما بعد سنة ١٩٨٢م صورة لحالة الفلسطينيين فيها. حيث كانوا أكثر انقساماً وتشردماً. يحَيون حالة من الفوضى والارتباك. وتعرض مخيماتهم للحصار والتصفية. وتشير روايته إلى الخيارات الصعبة التي واجهها المقاتلون الفلسطينيون ممن أُجبروا على الابتعاد عن مواقع الاحتكاك بالعدو آلاف الكيلومترات. فرفضوا الانصياع للواقع الجديد. ولم يكونوا قادرين على الانتظار لحين فرصة جديدة. فقد بدا واضحا أن لعنة الجغرافيا ستقضي عليهم إن هم رضوا بما استجد من معطيات. لذا كان خيار العودة إلى لبنان هو الأكثر قرباً من عقولهم وقلوبهم رغم ما لها من مخاطر. وكانت العودة تعني إغضاباً لقيادتهم التي أصبحت رهينة خيارات محدودة وصعبة. وذهاباً للمجهول. إذ لم يعد لبنان كما كان. قاعدةً للثورة. وتلاشت قوة الفلسطينيين مقابل صعود قوى أخرى. غالباً ما كانت معادية للفلسطينيين. يروي أبو الرائد ذكرياته عن تلك الفترة فيقول:

لم تعجبني العيشة في الجزائر فقررت العودة إلى لبنان تهرباً. في البداية القيادة ما كانت

١٥ التحق حسين الدهمش في صفوف حركة فتح أواخر ستينيات القرن الماضي. تركّز نشاطه في سوريا ولبنان. انشق عن حركة فتح سنة ١٩٨٣م. ويعيش حالياً في لبنان.

١٦ واصف عريقات (١٩٤٦-): ولد في أبو ديس ودرس في مدارس القدس. عمل طياراً في سلاح الجو الأردني. بعد أن درس الطيران والعلوم العسكرية في بريطانيا والولايات المتحدة والباكستان. التحق بصفوف الثورة الفلسطينية سنة ١٩٧٠م. شغل عدة مراكز في قوات الثورة الفلسطينية. منها قائد مدفعية القوات المشتركة في جنوب لبنان ١٩٧٦-١٩٨٢م. عاد للأراضي الفلسطينية بعد التوقيع على اتفاقيات أوسلو. وعمل في وزارة الداخلية خلال السنوات ١٩٩٥-٢٠٠٦م. كتب العديد من الدراسات عن تجربة الثورة الفلسطينية والشؤون العسكرية.

تعمّ حركة فتح. وحرب المخيمات^{١٨} مشتتة. وحركة أمل^{١٩} تقود حملة شرسة ضد الوجود الفلسطيني في لبنان. وقتها كُلفت بإعادة إنشاء المدفعية. أنا عملت وقتها تحت إمرة عبد المعطي السباعوي^{٢٠} وعلاء الأفندي^{٢١} ولكن الذي لعب الدور الأهم في إعادة تشكيل مدفعية منظمة التحرير هو عصام سالم اللوح^{٢٢} هو عمل على توفير مدفعية ١٣٠. راجمات ٤٠ صاروخ. مدافع هاون. مدافع مقاومة طيران وغيرها.

مهمتنا في لبنان لم تكن سهلة. واجهنا مشاكل كثيرة. أولاً المقاومة كانت ضعيفة. وتشكيلات المدفعية بدأتها من الصفر والشباب اللي معي لم يكونوا من قوات المدفعية. وإنما شباب جدد على المدفعية. تحركت بسرعة. كان لنا غرفة عمليات المدفعية في شُرق صيدا في المية ومية. وهي منطقة في صيدا جميعها مسيحية. فيها قلل وبنائات جميلة قريبة من البحر. كانت المنطقة مهجورة ومدمّرة وأهلها مهاجرين منها. قريها قري مغدوشة وعين الدلب وجنسانيا وعلى طرفها مخيم المية ومية.

كانت في غرفة عمليات لكل التنظيمات والمعارضة. كلنا توحدنا ضد العدو الخارجي. كنا جميعاً ضد أمل. أول شيء عملناه طهرنا صيدا بكاملها حتى إقليم التفاح من جماعة سعد حداد^{٢٣} كان سعد حداد يريد الدخول إلى صيدا. وطبعاً جميع التنظيمات اتحدت بالإضافة إلى الجيش اللبناني. كلهم شاركوا في القتال.

١٨ شنت حركة أمل اللبنانية. مدعومة من النظام السوري. حرباً طاحنة ضد الوجود الفلسطيني في لبنان. بدأتها في شهر تموز ١٩٨٤م. إذ واجهت المخيمات الفلسطينية في بيروت والجنوب حصاراً خانقاً. وقد دافع الفلسطينيون في حينه عن وجودهم. وترأس الدفاع عن المخيمات مقاتلون من حركة فتح والجيبة الديمقراطية وبعض الفصائل الفلسطينية الأخرى. استمرت الحرب قرابة ٩٩٠ يوماً. وانتهت بعد توقيع اتفاق بين حركتي أمل وفتح وذلك بتاريخ ١٩٨٨/١٢/٢٠م. للمزيد من المعلومات بشأن حرب المخيمات انظر: نوفل. ممدوح. مغدوشة قصة الحرب على المخيمات. رام الله. مؤسسة مواطن. ٢٠٠٦. وأيضاً: صايغ. يزيد. مصدر سابق. ص ٨١٢-٨٣٤؛ وأيضاً: اشنية. محمد. موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية. رام الله. المركز الفلسطيني للدراسات الإقليمية. ط٥. ٢٠١٣. ص ٢٢٨-٢٣٤.

صدام فتح مع حزب الله^{٢٤}

تكشف رواية أبو الرائد عن نشوب خلاف بين الفصائل الفلسطينية وبين عناصر حزب الله. وتتضمن روايته حول هذا الخلاف قدراً من الألم والحسرة التي يعيشها المقاتل المطلع على بواطن الأمور والعاجز عن التغيير. وتشير أيضاً إلى ثقل منطق السياسة ولغة الخيارات الصعبة على قلب المقاتل الذي تملكته فكرة التحرير دون غيرها. وخصوصاً في ساحة تتسم بسبولة

١٩ تأسست «حركة أمل» أو «أفواج المقاومة اللبنانية» على يد الشيخ موسى الصدر سنة ١٩٧٥م. وقد انبثقت بعد حراك طويل قاده الصدر في أوساط الشيعة في لبنان سمته الأساسية مطلبية وسياسية. وقد توج هذا الحراك سنة ١٩٧٤م بتأسيس حركة المحرومين. أعلن الصدر أن هدف حركة أمل حماية التجمعات الشيعية من أية اعتداءات إسرائيلية قادمة. وقد ساهمت الثورة الفلسطينية في تأسيس النواة العسكرية الأولى للحركة. تحالفت الحركة مع النظام السوري في مواجهة الوجود الفلسطيني في لبنان. ثم تراجع دورها لاحقاً لمصلحة حزب الله اللبناني.

٢٠ عبد المعطي السباعوي (١٩٤٧-٢٠٠٠): لواء ركن. ولد في يافا انضم في وقت مبكر إلى المقاومة الفلسطينية. وخاض تجاربها في غزة والأردن ولبنان. أسر خلال حرب ١٩٧٣ مدة ستة أشهر. عاد إلى لبنان سنة ١٩٨٥م. وشارك في معارك الدفاع عن المخيمات بصفته مسؤول عمليات فتح في صيدا والجنوب. عاد لغزة بعد تأسيس السلطة الوطنية الفلسطينية. ولكّنه قتل في ظروف غامضة. وقد شرح ممدوح نوفل في كتابه مغدوشة قصة الحرب على المخيمات كثيرة عن دور السباعوي في حرب المخيمات.

٢٣ سعد حداد (١٩٣٦-١٩٨٤): أحد حلفاء الاحتلال الإسرائيلي في لبنان. أعلن سنة ١٩٧٩ عن قيام دولة لبنان الحر الموالية لإسرائيلي. وأسس جيش لبنان الجنوبي الموالي لها. عُرف بعدائه الشديد للفلسطينيين وللمقاومة اللبنانية. مات بالسرطان.

٢٤ تأسس حزب الله سنة ١٩٨٢، وهو حزب سياسي عسكري شيعي المذهب. تمكن من تحرير جنوب لبنان من الاحتلال الإسرائيلي بعد مقاومة طويلة وشرسة. أسهمت الثورة الفلسطينية في لبنان في بناء النواة الأولى للجناح العسكري للحزب. عُرف الحزب بتحالفة العضوي مع جمهورية إيران الإسلامية وبمرونته العالية في التعاطي مع الشائين الداخلي والإقليمي وبدعمه الكبير للمقاومة الفلسطينية. وقد واجه الحزب انتقادات حادة من كثيرين في لبنان وخارجها بسبب وقوفه مع النظام السوري في الأزمة السورية الحالية.

٢١ قائد كتيبة بيت المقدس التابعة لحركة فتح. وقائد قوات فتح في صيدا والجنوب. كان له دور بارز في لبنان في فترة حرب المخيمات. وقد أورد ممدوح نوفل في كتابه المذكور أعلاه تفاصيل تفاصيل كثيرة تتعلق بدور علاء الأفندي في الساحة اللبنانية في تلك الفترة.

٢٢ الممثل الشخصي لأبي عمار في لبنان. ذكر ممدوح نوفل تفاصيل كثيرة عن دور سالم في حرب المخيمات.

سياسية وبتحولات لا تتوقف. بالإجمال كان أبو الرائد مؤيداً للحفاظ على علاقات قوية مع حزب الله. كونه يمثل خطأً لبنانياً وطنياً مقاوماً. وقد عايش بنفسه عناصر الحزب في الميدان. وخبر قدراتهم. فتوقع لهم مستقبلاً باهراً في خط المقاومة.^{٢٥} لكنه بوصفه ميدانياً لم يكن قادراً على التأثير في صنع القرار. لذا نراه يكتفي باتخاذ موقف فردي بالامتناع عن مواجهة حزب الله. رغم قناعته بأنه لن يحدث فرقاً. وسيكون لقراره تداعياته السلبية عليه شخصياً. يقول عن تلك الفترة:

ارتكبنا أخطاءً جديدة في لبنان. تصوّر أمل كانت تريد منع حزب الله من التوجه نحو الجنوب. طلبت القيادة منّا عدم إدخال حزب الله إلى الجنوب. كان حزب الله يترجّى فينا أن نسمح له بالدخول إلى الجنوب. وضعنا الحواجز في منطقة المية ومية. عبد المعطي السبعوي أعطانا أوامر بمنع حزب الله من المرور. تصالحنا مع أمل على حساب حزب الله. طبعاً إحنا [نحن] وضعنا حاجز لمنعهم من المرور وجرت بيننا وبينهم مواجهات مسلحة.^{٢٦} وفي إحدى هذه المواجهات قُتل منّا ٥٠ شخص دفنهم في ساحة صيدا في قبر جماعي على جانب الشارع.^{٢٧} دخلت كتيبة قوات بيروت المعركة. كان قائد الكتيبة يونس عواد وهذا قُتل بعدها في لبنان. أنا رفضت المشاركة في هذه المعركة. لأنني كنت مع التحالف مع حزب الله. وخفت نخسر حليف ساعدنا كثيراً في مواجهة أمل. أنا مقتنع بأن كوادر حزب الله كانت نظيفة.

٢٥ شرح ممدوح نوفل في كتابه مغدوشة تفاصيل العلاقة الحميمة بين حزب الله والفصائل الفلسطينية. وتحديداً بين فتح والجبهة الديمقراطية. وبين كيف أنّ الحزب وقف بقوة بجانب الفلسطينيين في حريهم مع حركة أمل.

٢٦ يعود السبب الرئيس في اندلاع المواجهة بين حركة فتح وحزب الله بحسب يزيد صايغ. إلى خشية فتح من إعادة سيناريو محاصرة المخيمات. وهذا ما دفع الحركة إلى نشر مقاتليها في بعض المواقع الاستراتيجية حول المخيمات. الأمر الذي رأى فيه الحزب إعاقة لأهدافه في التوسع والانتشار نحو الجنوب. إذ لا يمكنه ذلك إلا بالسيطرة على بعض المناطق الحيوية والطرق المحيطة بالمخيمات. ممّا يشكل خطراً عليها. للمزيد من التفاصيل بشأن القتال مع حزب الله أسبابه وتطوراته في تلك المرحلة. انظر: صايغ، يزيد « المقاومة الفلسطينية - عسكرياً الانتشار شرق صيدا ». شؤون فلسطينية، العدد ٢٠٣، شباط، ١٩٩٠، ص ١٢٢-١٢٧.

٢٧ خسرت فتح في تموز ١٩٩٠م خلال مواجهتها مع حزب الله نحو ١٥٠ قتيلًا. انظر: يزيد صايغ، الكفاح المسلح والبحث عن الدولة، مصدر سابق، ص ٩١١.

وشباب حزب الله واعيين ومؤدبين. أمّا معاركنا مع أمل فكانت كثيرة. نحن درّينا أمل ومقاتليها. أنا شاركت في البداية بتدريب أمل في معسكر ميسلون على الحدود السورية اللبنانية. شاركت في قتال أمل لأن أمل فرضت المعركة علينا. ولولا لطف الله لأبديت كل المخيمات. شاركت في معارك المية ومية وعرب صالحيم ووادي الليمون والقرية. لم أكن مقتنعا في معركتي مع أمل لكنها فرضت عليّ. كنت أحسب حساب أمام الله. فالقاتل والمقتول في النار كانت هذه العبارة تردعني. حتى أيام حربنا مع الكتائب كنت لما أشوف تجمعات مدنية أوقف الرمي.

محاولة اغتيال أبو الرائد

تُظهر مرحلة حرب المخيمات، كما عاشها أبو الرائد، حالة الفوضى الكبرى التي مرّت بها الثورة الفلسطينية في لبنان. فقد تغلّب منطق العنف في إدارة الأمور الداخلية على منطق العقل. وكان التخلص من الخصوم الداخليين يجري بشتّى الطرق الأخلاقية وغير الأخلاقية. وكانت التصفية الجسدية للمخالفين في الرأي ظاهرة منتشرة. وهذا ما حدث بالفعل مع أبو الرائد. إذ إن معارضته المتكررة لقرارات القيادة كادت تؤدي به. ولولا عناية الله لكان في عداد الذين قضوا في ظروف غامضة. وتشير تجربته عن تلك الفترة إلى بداية بروز تحولات لدى بعض القادة الميدانيين في صفوف حركة فتح داخل المخيمات الفلسطينية في لبنان باتجاه تبني الفكرة الإسلامية. سواءً كان ذلك بقناعة حقيقية بالبدل الإسلامي، أو أنها مجرد قشرة تغلف الخلافات الداخلية وحرب المحاور، أو واجهة تلعب بها أيدٍ خارجية. أو أنها صورة جديدة من صور التمرد والفلتان. يستذكر أبو الرائد محاولة اغتياله بالقول:

كما قلت لك، كانت الساحة اللبنانية فيها فوضى كبيرة، وأكبر الفوضى كانت في صفوف الثورة. كانت الاغتيالات والتمردات والمشاكل كثيرة. وكانت القيادات المحلية مشتركة في ذلك الموضوع. طبعاً كل واحد له مبرراته في العمل وله توجهاته. وكل واحد بدو [يريد] النظام حسب رؤيته. الانضباط كان خارج المعادلة في لبنان.

يروى أبو الرائد شيئاً عن معاناته في السجون السورية فيقول:

غادرتُ لبنان إلى الأردن في بداية التسعينيات. وعند اندلاع حرب عناقيد الغضب،^{٢٠} قررت العودة إلى لبنان. كنت ما زلت أرى في نفسي القدرة على المشاركة في المقاومة على الأرض. ولكن لما وصلت إلى لبنان كانت الحرب قد انتهت. وكانت خيارات الفلسطينيين في المقاومة محدودة جداً. لذا قررت العودة إلى الأردن. ذهبت إلى طرابلس ومنها إلى حمص. على الحدود أوقفني السوريون. وأخذوا هويتي واقتادوني إلى المخابرات. وهناك قعدت ٢٠ يوم. بعدها سُلمت إلى مخابرات حمص وقعدت عندهم شهر. وبعدها نقلوني إلى سجن القعلة في حمص. كان في هذا السجن سجناء كثير أغلبهم من الجنود والضباط السوريين. ما طوّنا كثير. انتقلنا بعدها إلى الشام [دمشق]. وهناك حولوني إلى فرع فلسطين. كان هذا الفرع معروف بأنه مسلخ، والتعذيب فيه لا يتصوره عقل. بصراحة أنا كنت أخشى أن يكونوا عارفين مين أنا. لأنني شاركت في السبعينيات في الحرب ضد الجيش السوري. وقمت خلال حرب المخيمات مع أبو محمد زعرورة^{٢١} بمهاجمة مقر المخابرات السورية في السعديات على طريق بيروت صور. وسرقة ملفات المخابرات

كنتُ معارض لتوجهات أبو ياسر السبعواوي. لأنني رأيت فيها مبالغة في سفك الدماء. الرجل كان لا يتورّع عن اغتيال من يعارضه من داخل الجسم الفتحاوي. كنت أعارضه في أكثر من قرار. ليس فقط في قراره منع حزب الله الوصول إلى الجنوب بل في مواقف أخرى. مرّة كان أبو ياسر في اجتماع صيدا كلّفني بقصف مخيم عين الحلوة لتأديب جمال سليمان^{٢٨} ومنير مقدهج^{٢٩}. كان هذا جمال متمرد على القيادة وكان يتصرف على راحته وعمل مشكلة في المخيم وراح فيها ضحايا. لذا كان أبو ياسر بدو ينتقم منه. جاء السبعواوي واجتمع بنا في عين الدلب وأمروني بقصف مخيم عين الحلوة. بحجة تأديب جمال. أنا رفضت لأن قصفه سيؤدي إلى مقتل عدد كبير من الأبرياء من سكان المخيم. سبعواوي وقتها قرر أن يتخلص مني. وقام بتكليف اثنين من رجالي لاغتيالني. الحمد لله كنت حذر جداً أن أقع في فخه. وتمكنت من كشف المؤامرة.

الخروج من لبنان والوقوع في أسر القوات السورية

شكّل خروج أبو الرائد من لبنان نهاية تجربته مع المقاومة الفلسطينية. لكنّها ليست نهايته مع المعاناة. إذ وقع في أسر النظام السوري. وعانى في السجن من التعذيب والمهانة والقهر. وتصور شهادته بشأن سجنه في سوريا الحياة الصعبة التي كان يعيشها الأسرى داخل السجون السورية. وتعطي معلومات عن أوضاع المعتقل وأساليب التحقيق القاسية التي كانوا يتعرضون لها وعن أنواع التّهم التي كانت توجه لهم.

٢٠ عملية عناقيد الغضب هو الاسم الرمزي الذي أطلقه جيش الدفاع الإسرائيلي على هجوم عسكري خاطف. يسميه حزب الله بحرب أبريل أو نيسان. ضد لبنان سنة ١٩٩٦م لمدة ستة عشر يوماً في محاولة لإنهاء قصف حزب الله للمستوطنات الإسرائيلية الواقعة شمال فلسطين المحتلة. وقد شنت إسرائيل أكثر من ١١٠٠ غارة جوية وقامت بقصف شامل أطلقت خلالهما حوالي ٢٥١٣٢ قذيفة. وقد قُصف موقع للأمم المتحدة أثناء ذلك مما أدى إلى مقتل ١١٨ مدني لبناني. ردّ حزب الله بإطلاق ٦٣٩ هجمة صاروخية على مستوطنات إسرائيل شمال فلسطين المحتلة، خصوصاً على بلدة كريات شمونة. كما شاركت قوات حزب الله أيضاً في الاشتباكات العديدة مع القوات الإسرائيلية وحليفاتها قوات جيش لبنان الجنوبي. توقف الصراع العسكري في ٢٧ نيسان باتفاقية وقف إطلاق نار تمنع الهجمات على المدنيين.

٢١ أبو محمد زعرورة أمر كتيبة في فتح. كان على علاقة سيئة مع قيادة فتح في لبنان. وقد اشتبك مع علاء الأفندي في شهر شباط ١٩٩١م. وأسر وأعدم مع ٢٠ من أنصاره في محاكمة ميدانية سريعة. للمزيد من المعلومات بشأن الموضوع. انظر: يزيد صايغ، المصدر السابق نفسه، ص ٩١١. وبحسب أبو الرائد فإن المسؤول عن ملاحقة زعرورة واتخاذ قرار إعدامه هو القيادي في لبنان س. أبو ع. وليس علاء الأفندي.

٢٨ عدّ الضابط جمال سليمان ذو الميول الإسلامية ضابطاً متمرداً. وقد اتهم بتلقي الدعم من الجبهة الشعبية القيادة العامة وجماعة أبو نضال. وقد شنت القوات الفتحاوية هجوماً عليه في آب ١٩٩٠م. وهزمنه. وأدت المعركة إلى سقوط ٢٤ قتيلاً و١٥٠ جريحاً. للمزيد من التفاصيل بشأن الموضوع. انظر: يزيد صايغ، الكفاح المسلح، مصدر سابق، ص ٩١١.

٢٩ من قيادات حركة فتح وكوادرها في لبنان. عُرف بتوجهاته الإسلامية وبمعارضته لمسار التسوية. للمزيد من التفاصيل حول منير مقدهج وعلاقاته المتوترة مع قيادة فتح في لبنان خلال تلك المرحلة. انظر: يزيد صايغ، الكفاح المسلح، مصدر سابق، ص ٩١١-٩١٢.



أبو الرائد في الكويت تشرين أول عام ١٩٦٣

بدّ من سرده ووضعه في مكانه الصحيح. وبعد هذا المشوار الطويل، عاد أبو الرائد إلى قريته سلواد ليمضي بقية عمره كما كان والده، مزارعاً يعيش على ما تجود به أرضه وما تنتجه حيواناته.

المصادر والمراجع:

- اشنية، محمد. موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية. رام الله، المركز الفلسطيني للدراسات الإقليمية، ط٥، ٢٠١٣.
- صايغ، يزيد. الكفاح المسلح والبحث عن الدولة الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٤٩-١٩٩٣، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ٢٠٠٢.
- صايغ، يزيد « المقاومة الفلسطينية -عسكريا الانتشار شرق صيدا»، شؤون فلسطينية، العدد ٢٠٣، شباط، ١٩٩٠، ص ١٢٢-١٢٧.
- نوفل، ممدوح. مغدوشة قصة الحرب على المخيمات، رام الله، مؤسسة مواطن، ٢٠٠٦.

مقابلات شخصية

- مقابلة مع العقيد المتقاعد حاتم عبد الغني مصطفى حماد في منزله بمدينة سلواد، يوم الخميس ٢٩/١١/٢٠١٣.
- مقابلة مع اللواء عبد الرحمن صالح أبو صالح في منزله بمدينة سلواد، يوم الخميس ٢٩/١١/٢٠١٣.
- مقابلة مع معين الطاهر (تمت إلكترونياً) بتاريخ ١٣/٢/٢٠١٥.

مواقع الكترونية

- موقع أمد مركز للإعلام:
http://www.amad.ps/ar/?Action=Details&ID6266=
تمت زيارة الموقع بتاريخ ١٨/٢/٢٠١٤.

السورية، ولكن عزمتم على أن لا أحدث بشيء. نزلوني إلى غرف تحت الأرض، كانت الغرفة صغيرة فيها ما يقارب ٧٠ سجين، والكل ينام على البلاط. أول ما فنت [دخلت] الغرفة شافني سجين سوري ولما عرف أنني فلسطيني قال لي إن التحقيق مع الفلسطينيين يتركز على أبو محمد زعرورة. أخذوني بعد يوم إلى التحقيق واستخدموا أساليب وحشية جدا حتى ينتزعوا مني اعترافات. أثناء التحقيق تأكدت أنهم لا يعرفوا شخصيتي، وهذا ساعدني على عدم الاعتراف بشيء. كانت أساليب التحقيق القاسية تتركز على الشبح في الهواء، بحيث تكون معلق بالجنائزير، والضرب المبرح في كل أنحاء الجسم، والنوم على ظهره على طاولة وأنت مقيد بإحكام، وبكبسة زر تبدأ الطاولة بالانقباض لتصبح أقرب إلى الدائرة، واستخدام الكهرباء وغيرها من الأساليب الوحشية.

استمر التحقيق معي لعدة أسابيع، كنت أنا مُصرّ على القول إنني قادم من الأردن لزيارة أهلي في طرابلس، بعد الأسبوع الثاني من التحقيق الجامد، بدأ المحققون يخفون أساليبهم، إلى أن انتهى التحقيق وأرسلت إلى السجن ومكثت فيه ٦ أشهر ثم أطلق سراحى وعدت إلى الأردن، وبقيت فيها فترة من الزمن، كنت استدعى فيها للتحقيق [من قبل المخابرات الأردنية] عدة مرات، وفرضت عليّ الإقامة الجبرية في المنزل مرتين، كل مرة ٦ أشهر، ولكنني بحمد الله تمكنت من العودة إلى فلسطين سنة ١٩٩٨م.

خاتمة

أمضى أبو الرائد زكريا أغلب عمره مقاتلا في صفوف المقاومة الفلسطينية، عايش قوة الأمل وجسارة اندفاع الشباب، وتجرّع آلام الخيبة وحسرة الانكسار، انتقل مع المقاومة من مكان إلى آخر من دون كلل ولا ملل، عانى ما عاناه أقرانه من جبروت المرحلة وعنفوانها، ولم يُعر انتباها لمسارات السياسة ومآلاتها، امتلك تفسيره الخاص لما جرى له ولغيره من مقاتلين، لكنه بقي عنيدا كما هو المقاتل الميداني، وشهادته التي عرضناها، على ما فيها من مواقف ومحطات وآراء وأفكار، تمثل الجانب غير المروّي من تاريخ المقاومة الفلسطينية، الذي لا